ظاهرة العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة
- دراسة موضوعية -

The Phenomenon of Generosity in the Prophetic Sunnah

An Analytical Study

إعداد

د. راشد حمدان العازمي

Prepared by:

Dr. Rashed Hamdan Al- Azmi

البحث مدعوم من كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية جامعة الكويت برقم HH07/24

Rashed.123456789@yahoo.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة، بوصفها قيمة مركزية في البناء الأخلاقي والاجتماعي للإسلام، ويهدف إلى إبراز أبعادها من خلال دراسة نصوص السُّنَّة وتحليلها. يبدأ البحث بمقدمة تتناول أهمية الموضوع في ظل الحاجة المعاصرة إلى تعزيز ثقافة العطاء، ويعرض أهداف البحث، ومشكلته، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع، وفي التمهيد، يُعرّف العطاء لغةً واصطلاحًا، تمهيدًا لفهم دقيق لمفهومه في السياق النبوي، ثم يتناول المبحث الأول أنواع العطاء والحث عليه في السُّنَّة، مبينًا تنوع صور العطاء بين المادي والمعنوي، وكيف حفّزت السُّنَّة النَّبويَّة المسلمين على ممارسته، أما المبحث الثاني، فيسلط الضوء على العطاء الإلهي كما ورد في السُّنَّة، من حيث مظاهره الدينية والدنيوية، مع تحليل خصائصه ودلالاته العقدية والتربوية، مما يكشف عن عمق العلاقة بين العطاء الإلهي وتكوين الوعي الإيماني لدى المسلم، ويتناول المبحث الثالث عطاء النبي ﷺ، من خلال أقواله وأفعاله، ليُظهر كيف جسّد النبي ﷺ قيمة العطاء في حياته اليومية، وجعلها منهجًا تربويًا وسلوكيًا لأصحابه، وفي المبحث الرابع، يناقش البحث مظاهر العطاء البشري في السُّنَّة، من خلال تصنيف أنواعه، وبيان ثماره في الدنيا والآخرة، مما يعكس أثر هذه القيمة في بناء مجتمع متكافل ومتراحم.

ويُختتم البحث بعرض أبرز النتائج والتوصيات، ومن بينها:

- أن العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة يُعدّ مفهومًا شاملًا لا يقتصر على المال، بل يشمل الكلمة الطيبة، والنصيحة، والتعليم، وخدمة الناس، مما يعزز من تماسك المجتمع.

- ويوصي الباحث بضرورة تعزيز ثقافة العطاء في المناهج التعليمية والخطاب الديني، بالاستناد إلى النماذج النبوية الموثقة، لما لها من أثر في ترسيخ القيم الإنسانية وتنمية روح الإيثار والتكافل.

الكلمات المفتاحية: العطاء - السُّنَّة النَّبويَّة - العطاء الإلهي - عطاء النبي ﷺ - العطاء البشري.

Abstract:

This analytical study explores the phenomenon of generosity in the Prophetic Sunnah as a central value in the moral and social framework of Islam. The research aims to highlight its dimensions through a detailed examination and analysis of Prophetic texts. It begins with an introduction that discusses the significance of the topic in light of the contemporary need to promote a culture of giving, outlining the research objectives, problem statement, previous studies, and methodology.

The preliminary section defines generosity linguistically and conceptually, providing a foundation for understanding its meaning within the Prophetic context. The first chapter addresses the types of generosity and the encouragement to practice it in the Sunnah, illustrating the diversity of its forms—both material and moral—and how the Sunnah motivates Muslims to embody this value.

The second chapter focuses on divine generosity as portrayed in the Sunnah, examining its religious and worldly manifestations, along with its theological and educational implications. This reveals the depth of the relationship between divine generosity and the development of spiritual awareness in the believer.

The third chapter analyzes the generosity of the Prophet Muhammad ﷺ through his words and actions, demonstrating how he embodied this value in daily life and established it as a pedagogical and behavioral model for his companions.

The fourth chapter discusses human generosity in the Sunnah, categorizing its types and highlighting its fruits in both this life and the hereafter, reflecting its role in building a compassionate and cohesive society.

The study concludes with key findings and recommendations, including:

- Generosity in the Prophetic Sunnah is a comprehensive concept that extends beyond financial giving to include kind words, advice, education, and service to others—strengthening social cohesion.

- The researcher recommends promoting a culture of generosity in educational cur-

ricula and religious discourse, based on authentic Prophetic models, due to its impact on instilling human values and fostering a spirit of altruism and solidarity.

Keywords: Generosity – Prophetic Sunnah – Divine Generosity – Generosity of the Prophet ﷺ – Human Generosity

مقدِّمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الآخرة والأوَّلى، وأشهد أنَّ نبينا محمَّداً عبده ورسوله، النَّبيِّ المصطفى والرسول المجتبى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والتقى، وبعد:

فإنَّ السُّنَّة النَّبويَّة هي المصدر الثَّاني من مصادر التَّشريع الإسلاميِّ، جعلها الله سبحانه وتعالى هي والقرآن الحجَّة البالغة التي تُغني عن أيِّ حجَّة، فمنها استنبط الفقهاء والعلماء أحكامهم، وبها استدلُّوا على أقوالهم، فكانت بمثابة المفسِّرة لأحكام القرآن المجمَلة؛ فجاءت ببيان الوعد والوعيد، والحلال والحرام، والعبادات والمعاملات، ومن طريقها اكتملت الشَّريعة الإسلاميَّة التي جعلها الله سبحانه وتعالى حاكمة في خلقه، مُبيِّنة لهم ما تصلح به حياتهم.

وممَّا بيَّنته السُّنَّة النَّبويَّة: الأخلاق والآداب، فحثَّت على التزامها والتخلُّق بمحاسنها؛ لأجل سلامة الإنسان أوَّلًا، والمجتمع المسلم من حوله ثانيًا؛ من كلِّ دَرَنٍ لا أخلاقيٍّ يؤدِّي إلى تلفٍ أو فساد.

ومن هذه الآداب التي حثَّت عليها نصوص السُّنَّة النَّبويَّة: نشر روح التَّعاون والتَّكافل الاجتماعيَّين بين أفراد المجتمع جميعًا؛ فحثَّت على العطاء الذي يعدُّ ظاهرة اجتماعيَّة محمودة، على أساسها يعطي مَن يملك بعضًا ممَّا يملكه لمَن لا يملك، أو يملك القليل الذي يكاد يلبِّي مقوِّمات حياته، ولم تقتصر ظاهرة العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة على هذا فحسب، بل تشمل هذه الظَّاهرة العطاء الإلهيَّ، وعطاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

فجاء هذا البحث بعنوان: «ظاهرة العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة. دراسة تحليليَّة» ليسلِّط الضَّوء بالبحث والتَّحليل على النُّصوص النَّبويَّة الشَّريفة، والتي تناولت شتى صور العطاء.

أوَّلًا: أهميَّة البحث:

تتمثَّل أهميَّة هذا البحث من خلال وجهتين رئيستين:

الوجهة الأوَّلى: الأهمية العلميَّة.

تكمن هذه الأهميَّة في محاولة الباحث حصر الأحاديث الدَّالَّة على العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة، وذكر الفوائد العلميَّة في ذلك.

الوجهة الثَّانية: الأهميَّة العَمَلية.

يعتبر العطاء من القضايا المهمَّة في مجتمعنا المعاصر، وهذا الموضوع ممَّا يحثُّ على إصلاح الفرد والمجتمع من خلال معرفة أنواع العطاء، وماهيته، وكيفيَّته، ومدى اتِّصاله بالسُّنَّة النَّبويَّة.

ثانيًا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

١- التَّعرُّف على العطاء، ومدى اتصاله بالسُّنَّة النَّبويَّة.

٢- غرس القيم التي دلَّت عليها السُّنَّة النَّبويَّة، وبخاصَّة المتعلِّقة بظاهرة العطاء.

٣- غرس هذه الآداب من خلال توصيات واقتراحات تفيد الفرد والمجتمع.

ثالثًا: مشكلة البحث:

تتمثَّل مشكلة الدِّراسة في أنَّ الباحث يحاول طرح موضوع ظاهرة العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة من خلال عرض مفاهيم العطاء، وكلام علماء الحديث في ذلك، مع ربطها بما في مجتمعنا من علاقات ومعاملات، وذلك بجمع نصوص السُّنَّة النَّبويَّة الدَّالَّة على العطاء، وبيان كلام العلماء في شرحها ودلالاتها؛ للوصول إلى النَّتائج المرجوَّة من هذا البحث.

رابعًا: الدِّراسات السَّابقة:

لم أجد -حسب بحثي- مَن تطرَّق إلى البحث في ظاهرة العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة، إلا أنَّني وجدت دراسة تتكلم عن العطاء، وهي: «العطاء والرزق في صدر الإسلام»، لجاسم صكبان علي، بحث منشور بمجلة كلية التَّربية للبنات، المجلد ٢٠، العدد ٣، سنة ٢٠٠٩م.

تكلَّم فيه الباحث عن العطاء والرزق وملحقاتها في عصر الخلفاء الرَّاشدين، وألقى الضَّوء على أعطيات الخلفاء والصَّحابة في هذه الحقبة، ولم يقسِّم الباحث بحثه إلى مباحث أو مطالب، وإنَّما سرد كلامه سردًا دون تقسيم.

بينما يتناول هذا البحث ظاهرة العطاء من كافَّة جوانبها، كما جاءت بها نصوص السُّنَّة النَّبويَّة، وذلك بصورة أوسع وأعمق ممَّا عليه الدِّراسة المشار إليها.

خامسًا: منهج البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن أستخدم المنهج الاستقرائي التحليلي، وهو من أهمِّ المناهج العلميَّة والتي تتناسب مع طبيعة الدِّراسة حيث سنتناول الإجراءات التَّاليَّة:

- استقراء الأحاديث النَّبويَّة الدَّالَّة على ظاهرة العطاء.
- تقسيم هذه الأحاديث على ما يتناسب مع طبيعة البحث.
- بيان الكلمات الغريبة في الحديث.
- ذكر الفوائد الحديثيَّة في ذلك.

سادسًا: خطَّة البحث.

قسَّمت البحث إلى: مقدِّمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النَّحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على: أهمية البحث، وأهدافه، ومشكلته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: تعريف العطاء لغة واصطلاحًا.

المبحث الأوَّل: أنواع العطاء والحث عليه في السُّنَّة النَّبويَّة، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: أنواع العطاء.

المطلب الثَّاني: الحث على العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة.

المبحث الثَّاني: ظاهرة العطاء الإلهي في السُّنَّة النَّبويَّة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: العطاء الإلهي الدِّينيُّ.

المطلب الثَّاني: العطاء الإلهي الدنيويُّ.

المطلب الثالث: خصائص العطاء الإلهيِّ ودلالاته العقديَّة والتَّربويَّة كما تُفهم من السُّنَّة النَّبويَّة.

المبحث الثالث: ظاهرة عطاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: عطاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم القوليُّ.

المطلب الثَّاني: عطاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الفعليُّ.

المبحث الرابع: ظاهرة العطاء البشري في السُّنَّة النَّبويَّة، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: أنواع العطاء البشريِّ في السُّنَّة النَّبويَّة.

المطلب الثَّاني: ثمرات العطاء البشريِّ في الدُّنيا والآخرة.

الخاتمة: عرضت خلالها أبرز النتائج والتوَّصيات التي توصلت إليها.

التَّمهيد
تعريف العطاء لغةً واصطلاحًا

أوَّلاً: التَّعريف اللغويُّ.

العطاء في اللُّغة مصدر »أعطى- يُعطي؛ إعطاءً، وعطاءً» وهو ضدُّ المنْع، ويُقال: أعطاه الشَّيءَ، أي: ناوله إيَّاه تفضُّلًا أو حقًّا(١).

والعَطاء: اسمٌ لما يُعْطَى، وَيُقَال: إِنَّه لِجزيل الْعَطاء، وَهُوَ اسْم جَامع، وإذا سمَّيت الشَّيء بالعطاء من الذَّهب والفضَّة قلت: أَعْطِيَة، و(أَعْطِيَات): جمع الجمع(٢).

وَيُقَالُ: أَعْطَى البعِيرُ إِذا انْقادَ وَلِمَ يَسْتَصْعِبْ، والعَطاء: نَوْلٌ للرجُلِ السَّمْحِ.... ورجلٌ مِعْطَاءٌ: كَثِيرُ العَطاء، وَامْرَأَةٌ مِعْطاءٌ كَذَلِكَ، والإِعْطاء والمُعاطاةُ جَمِيعًا: المُناوَلة، وَقَدْ أَعْطاهُ الشَّيءَ، وعَطَوْتُ الشَّيءَ: تَناوَلْته باليَدِ (٣).

ممَّا سبق يتبيَّن أنَّ العطاء في اللُّغة يدلُّ على المناولة، ووصول شيء من طَرفٍ إلى آخر، وهذا العطاء إمَّا أن يكون تفضُّلًا من المعطِي، أو حقًّا للمُعطَى.

ثانيًا: التَّعريف الاصطلاحيُّ:

العطاء في الاصطلاح العامِّ هو: ما يُمنَح أو يُقدَّم من خير أو منفعة للغير، ابتغاء وجه الله أو تحقيقًا لمصلحة دنيويَّة أو أخرويَّة(٤).

ومعنى ذلك: أنَّ مفهوم العطاء في الأدبيَّات الاجتماعيَّة والدينيَّة يشير إلى حسن المبادرة بتقديم المنافع الماديَّة أو المعنويَّة لآخرين؛ انطلاقًا من دوافع متنوِّعة قد تكون دينيَّة (كالأجر الأخرويِّ)، أو إنسانيَّة (كتحقيق المصلحة العامَّة)، أو فردية (كالمكاسب الدنيويَّة).

(١) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ج:١٥، ص:٦٩، مادة (عطو).
(٢) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، (القاهرة: مكتبة الهلال، ١٩٩٠م)، ج:٢، ص: ٢٠٨؛ الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١)، ج: ٣، ص: ٦٥، مادة (عطو).
(٣) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم، ج:١٥، ص:٦٩، مادة (عطو).
(٤) ينظر: بكار، عبد الكريم، القيم العليا التي أرساها القرآن الكريم، (مصر: دار السلام)، ص:١٥٣.

والعطاء الإلهي هو: ما يفيضه الله على عباده من النِّعم والهبات، سواء كانت دنيويَّة كالرِّزق والأمن، أو أخرويَّة كالهداية والمغفرة[1].

وقد بيَّن الإمام الغزاليُّ أنَّ من أسماء الله (المعطي)، وهو: الذِّي يُفيض النِّعم على الخلق بلا استحقاق، وأنَّ من تمام الإيمان تفويض العطاء والمنع لله[2].

يتَّضح ممَّا سبق: أنَّ العطاء في الاصطلاح يُشير إلى فعلٍ من أفعال الجود والإحسان، سواء من الإنسان أو من الله تعالى، وأنَّ العطاء الإلهيَّ يتميَّز بكونه خالصًا من شوائب الأغراض البشريَّة، بل مرتبطٌ بالحكمة الإلهيَّة، والإرادة الربَّانيَّة.

المبحث الأوَّل: أنواع العطاء والحثِّ عليها في السُّنَّة النَّبويَّة

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: أنواع العطاء.

المطلب الثَّاني: الحث على العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة.

المطلب الأوَّل: أنواع العطاء.

يُعد العطاء من القيم الإنسانيَّة العليا التي حضَّ عليها الإسلام، ورفع من شأنها، وجعلها مظهرًا من مظاهر الإيمان وكمال الأخلاق، وسبيلاً للتقرُّب إلى الله، ونيل محبته ورضاه.

وقد تنوّعت وجوه العطاء في النُّصوص الإسلاميَّة، سواء من جهة مصدر العطاء – من الله تعالى، أو من الإنسان-، أو من جهة موضوعه (مالي، معنوي، علمي، نفسي... إلخ)، أو من جهة مقصده، وتفصيل ذلك كما يأتي:

أوَّلًا: أنواع العطاء باعتبار مصدره.

يتنوع العطاء بهذا الاعتبار إلى نوعين:

النَّوع الأوَّل: العطاء الإلهيُّ.

(١) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤)، ج: ١، ص: ١٥٠؛ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦)، ج:١، ص:١٣٩.

(٢) ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٩)، ص:١٠٩.

والمراد به – كما سبق بيانه -: ما يفيضه الله على عباده من النِّعم والهبات، سواء كانت دنيويَّة كالرزق والأمن، أو أخرويَّة كالهداية والمغفرة[١]، أي: ما يمنُّ الله تعالى به على عباده من نعم، ويتميَّز بأنَّه لا يُقارن بأيِّ عطاء بشريٍّ، بل يهبه الله تعالى لمن شاء بحكمته ورحمته.

وسيأتي الكلام على صورٍ من العطاء الإلهيِّ في المبحث الثَّاني بإذن الله تعالى.

النوع الثَّاني: العطاء الإنسانيُّ.

العطاء البشريُّ أو الإنسانيُّ هو: ما يقدِّمه الإنسان لغيره من نفع أو معروف أو إحسان، وهو من أعظم أبواب الخير، كالزكاة، والصَّدقات، والهبات، والنَّصيحة، والمشورة...ونحو ذلك.

وسيأتي – بإذن الله تعالى – الكلام على صور من العطاء البشري في المبحث الرابع.

ثانيًا: أنواع العطاء باعتبار موضوعه.

يتنوَّع العطاء بهذا الاعتبار إلى أنواع كثيرة لا حصر لها؛ فكلُّ ما يُعطى من طَرفٍ لآخر؛ يدخل تحت العطاء بهذا الاعتبار، فكلُّ عطاءٍ مادِّيٍّ أو معنويٍّ، أو علميٍّ أو نفسيٍّ، أو تربويٍّ، أو خدميٍّ..إلخ؛ فهو من أنواع العطاء بهذا الاعتبار.

ثالثا: أنواع العطاء باعتبار المقصد.

يتنوَّع العطاء من هذه الجهة إلى نوعين:

النَّوع الأوَّل: عطاء لوجه الله تعالى (النِّيَّة الصَّالحة).

قال تعالى: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا} [الإنسان: ٩].

أي: «إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم لوجه الله، يعنون: طلب رضا الله، والقُربة إليه (لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا) يقولون للذين يطعمونهم ذلك الطَّعام: لا نريد منكم -أيُّها الناس- على إطعامكم ثوابًا ولا شكورًا»[٢].

وعن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[٣].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج:١، ص:١٥٠؛ مدارج السالكين، ابن القيم، ج:١، ص:١٣٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠)، ج:٢٤، ص:٩٨.

(٣) صحيح البخاري – كتاب بدء الوحي - كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ج:١، ص:٦، رقم (١).

فهذا الحديث من جوامع الكلم، ومعيار مهم من معايير القبول عند الله تعالى، فمن كانت نيَّته ابتغاء مرضاة الله فيما يعطي ويوهب لغيره، فهو أهلٌ أن يُقبل عمله، ويُكتب ثوابه عند الله تعالى، ومن كانت نيَّته لغير الله فهو وما عمل وقدَّم، لا ثواب له عند الله ولا قبول، بل أمره وعمله لمن قدَّم له، كما سيأتي في الكلام التَّالي.

النَّوع الثَّاني: عطاء رياءً وسمعة.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلاَنًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

ومحصِّل الحديث مع ما تقدَّم: أنَّ الإسلام قد أظهر العطاء كقيمة شاملة تستوعب المادَّة والمعنى، وتطال كلَّ جوانب الحياة الفرديَّة والجماعيَّة، وهي مرآة للإيمان الصَّادق، وعلامة على حقيقة التوَّكُّل على الله تعالى، وتُثبت النُّصوص أنَّ العطاء ليس محصورًا في المال، بل هو باب من أبواب الخير ممتدٌّ، يشمل الأخلاق والكلمة والعلم والموقف.

(١) سنن الترمذي – أبواب الزهد - باب ما جاء في الرياء والسمعة، ج:٤، ص:١٧١، رقم (٢٣٨٢). وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

المطلب الثَّاني: الحثُّ على العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة.

يُعد العطاء من أبرز الصِّفات التي حثَّ عليها الإسلام، وجعلها من علامات الإيمان الصَّادق، ووسائل تزكية النَّفس، ومفاتيح نيل رحمة الله.

وقد أوْلَت السُّنَّة النَّبويَّة أهميَّة بالغة للعطاء والبذل؛ حيث وردت أحاديث كثيرة تحضُّ على الكرم والعطاء والبذل - سواء في المال أو في الجهد أو في العلم أو في سائر وجوه الخير-، وترغِّب فيه، وتربط بينه وبين محبَّة الله، ومحبة النَّاس، وبيان ذلك كما يأتي:

أولًا: منزلة العطاء في المفهوم النَّبويِّ.

فقد أكَّدت السُّنَّة النَّبويَّة على مركزيَّة العطاء في بناء الفرد والمجتمع، وأوضحت أنَّ المؤمن الحقّ هو الذي يبذل ممَّا يحب، سواءً كان العطاء مالًا أو جهدًا أو وقتًا، ابتغاء مرضاة الله.

فقد جعل النَّبيُّ ﷺ العطاء سمة من سمات أهل الإيمان، بل قَرَنه بالإيمان بالله واليوم الآخر، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ...) (١).

وهذا التَّأصيل النبويُّ يربط بين الإيمان الحقيقيِّ وبين العطاء وكرم الضِّيافة.

وبيَّن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم أنَّ العطاء صفة من صفات الله تعالى؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...) (٢).

ومعنى (سحَّاء) بفتح السِّين المهملة وتشديد الحاء المهملة: دائمة الصَّبِّ والهطل بالعطاء، يقال: سحَّ يسحُّ سحًّا فهو ساحٌّ، والمؤنثَّة سحاء، ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها (٣).

فالعطاء لا ينقص المال، وإنما يزيده بركة ورفعة، وهذا ما صرّحَ به رسول الله ﷺ كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(٤).

(١) صحيح البخاري – كتاب الأدب - باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ج:٨، ص:١١، رقم (٦٠١٨).

(٢) صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن - باب قوله: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} [هود: ٧]، ج:٦، ص:٧٣، رقم (٤٦٨٤).

(٣) النِّهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٥٤.

(٤) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب العفو والتواضع، ج:٤، ص:٢٠٠١، رقم (٢٥٨٨).

فالحديث فيها تغليب لموازين الشَّريعة المغايرة لموازين أهل الدُّنيا التي ينقص فيها العطاء ولا يزيده، وأن العبد المؤمن لا يليق به أن يخشى نقصان ما عنده من عطاء أو صدقة ونحو ذلك، إذا كان عطاؤه خالصًا لوجه الله تعالى.

كما بيَّن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم أنَّ السَّبق إلى العطاء من صفات أهل الجنَّة؛ ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ .... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ..)[1].

ثانيًا: صور الحثِّ على العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة.

العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة لا يقتصر على المال، بل يشمل كلَّ وجوه الخير، كالكلمة الطيِّبة، والمساعدَة، والدُّعاء، والمشورة، والتَّعليم، وغير ذلك من صور الإحسان.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[2].

و (السُّلامى) جمع سلاميَّة، وهي الأنملة من أنامل الأصابع، وقيل: واحده وجمعه سواء، ويجمع على: سلاميَّات، وهي التي بين كلِّ مفصلين من أصابع الإنسان، وقيل: السُّلامى: كلُّ عظم مجوَّف من صغار العظام، والمعنى: على كلِّ عظم من عظام ابن آدم صدقة[3].

فهذا الحديث الشَّريف يبيِّن أنَّ العطاء لا ينحصر في المال، بل يمتدُّ إلى كلِّ ضروب الأعمال الصَّالحة في أبواب الخير، بالإضافة إلى القول الحسن بشتَّى مواضعه ومناسباته، وأنَّ الحثَّ على الصَّدقة يتجدَّد كلَّ يوم، وأنَّه يتكثَّر بعدد مفاصل أصابع العبد، فأبواب العطاء الكثيرة مفتَّحة على العبد لا تغلق مادام حيًّا.

(١) صحيح البخاري – كتاب الأذان - باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ج:١، ص:١٣٣، رقم (٦٦٠).

(٢) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير - باب من أخذ بالركاب ونحوه، ج:٤، ص:٥٦، رقم (٢٩٨٩).

(٣) النِّهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٩٦.

وقد ورد الحثَّ على العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة بعدد من الصَّور، أبرزها ما يأتي:

١- الحثُّ على الإنفاق في سبيل الله:

وردت أحاديث كثيرة تحثُّ على العطاء من خلال بيان فضل الإنفاق في سبيل الله؛ وهو الجهاد.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ...) (١).

ومعنى «الزَّوجين» هنا عامٌّ، فالأصل في الزوج: الصنف والنوع من كلِّ شيء، وكلُّ شيئين مقترنين؛ شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان، وكلُّ واحد منهما زوج، فالمعنى: من أنفق صنفين من ماله في سبيل الله، كفرسين أو جملين أو أيَّ صنف من أصناف الأموال الأخرى؛ كان له من الجزاء ما ذكر في الحديث(٢).

وفي الحديث الآخر: عن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»(٣).

فمن رحمة الله تعالى وعظيم فضله أن فتح باب الأجر ونيل منزلة المجاهد للعاجزين والمعذورين عن الجهاد بأن يشاركوا أجر الغازين دون أن يقاتلوا، وذلك بأن يجهِّزوهم بما يحتاجون إليه من مؤونة أو سلاح أو مركب ونحو ذلك ممَّا يلزم المقاتلين في سبيل الله، فمن أعطى من ماله أو ممَّا يملك شيئًا للمجاهدين كان بمنزلتهم في الأجر والثَّواب.

٢- الحثُّ على الصَّدقة للفقراء والمحتاجين:

ففي حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (... يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلاَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ...)(٤).

(١) صحيح البخاري – كتاب الصوم - باب: الريان للصائمين، ج:٣، ص:٢٥، رقم (١٨٩٧).
(٢) النِّهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣١٧.
(٣) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير - باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير، ج:٤، ص:٢٧، رقم (٢٨٤٣).
(٤) سنن الترمذي – أبواب السفر - باب ما ذكر في فضل الصلاة، ج:١، ص:٧٥٣، رقم (٦١٤). وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

ومعنى (الصَّلاة برهان): أي: حجَّة ودليل على صحَّة إيمان صاحبها[١]؛ وفي رواية (الصَّدقة برهان) وذلك لطيب نفسه بإخراجها؛ وذلك لعلاقة ما بين النَّفس والمال، وأصل البرهان: الوضوح، يقال: هذا برهان هذا الأمر، أي: وضوحه، وهو مصدر كالكفران والعدوان[٢]، ومعنى (الصَّوم جُنَّة): -بضمِّ الجيم وتشديد النُّون-أي: وقاية من المعاصي والآثام، ونحو ذلك من الشُّرور؛ إذ حذف المتعلَّق يفيد العموم.

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، - قَالَ شُعْبَةُ: أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلاَ أَشُكُّ - ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[٣].

ومعنى (أشاح بوجهه): صرف بوجهه عن الشيء، فِعْل الحذِر منه الكارِه له، كأنه عليه السلام كان يراها ويحذر ريح سعيرها، فنحى وجهه عنها[٤].

٣- الحثُّ على العطاء من خلال الهدايا والإكرام:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " تَهَادَوْا فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ"[٥].

ومعنى (وَحَرَ الصَّدر) -بفتح الوا والحاء المهملة- غشَّه ووساوسه، وقيل: الحقد والغضب، وقيل: العداوة، وقيل: أشدُّ الغضب[٦]، قلت: ولا مانع من حمل الحديث على جميع هذه المعاني؛ فإنَّها ممَّا ذمَّه الشَّرع ونهى عنه.

و(الفِرسن) بكسر الفاء وسكون الراء: العظم قليل اللحم، وهو خف البعير، وقد يستعار للشَّاة[٧].

---

(١) المباركفوري، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذيِّ، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١: ٣/ ١٩٢.

(٢) الوهراني، إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ت دار الفلاح للبحث العلمي، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م: ١/ ٤٧٨.

(٣) صحيح البخاري – كتاب الأدب - باب طيب الكلام، ج:٨، ص:١١، رقم (٦٠٢٣).

(٤) التَّوضيح شرح الجامع الصحيح: ٢٨/ ٣٣٤.

(٥) سنن الترمذي – أبواب الولاء والهبة - باب في حث النَّبيّ صلى الله عليه وسلم على التهادي ج:٤، ص:٩، رقم (٢١٣٠). وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٦) الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله، الكاشف عن حقائق السنن (شرح مشكاة المصابيح)، مكتبة نزار الباز-مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م: ٧/ ٢٢٣٣.

(٧) النِّهاية في غريب الحديث: ٣/ ٤٢٩.

وفي رواية أخرى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبيّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»(١).

وقد روي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا»(٢).

أي: يعطي الذي يهدي له بدلها، والمراد بالثَّواب: المجازاة، وأقلُّه: ما يساوي قيمة الهديَّة(٣).

ومعنى ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم كان يكافئ صاحب الهديَّة؛ فيعطيه عوضًا عنها ما هو خير منها أو مثلها.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»(٤).

والذِّراع هو السَّاعد، والكراع: ما دون الركبة من السَّاق المستدقِّ، يؤنَّث ويذكَّر(٥)، وخصَّ الذراع والكراع بالذكر ليجمع بين الحقير والخطير؛ لأنَّ الذِّراع كانت أحبَّ إليه من غيرها، والكراع لا قيمة له(٦).

٤- الحثُّ على عطاء العلم والنَّصيحة:

فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي، فَقَالَ: «مَا عِنْدِي»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(٧).

وقوله: (ابدِع بي): بكسر الدَّال، بالبناء للمجهول، أي: وقفت دابَّتي فاحملني على بعير(٨)، وقيل: هلكت راحلتي، يقال: أبدعت الراحلة إذا انقطعت عن السَّير؛ لكلال أو ظَلَعٍ جعل

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، (بيروت: دار البشائر، ١٩٨٩)، باب قبول الهدية، ص:٢٠٨، رقم (٥٩٤). وحسَّنه الألبانُّي.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - باب المكافأة في الهبة، ج:٣، ص:١٥٧، رقم (٢٥٨٥).

(٣) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ج:٥، ص:٢١٠.

(٤) صحيح البخاري – كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - باب القليل من الهبة، ج:٣، ص:١٥٣، رقم (٢٥٦٨).

(٥) اللامع الصَّبيح بشرح الجامع الصَّحيح: ٨/ ٧٦.

(٦) فتح الباري: ٥/ ٢٠٠.

(٧) صحيح مسلم – كتاب الإمارة - باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، ج:٣، ص:١٥٠٦، رقم (١٨٩٣).

(٨) الأصبهاني، قوام السُّنَّة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد التَّيميُّ، التحرير في شرح صحيح مسلم، دار أسفار- الكويت، ط١، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م، ٢٤٨.

انقطاعها عمَّا كانت مستمرَّة عليه من عادة السَّير إبداعاً منها[1]، وقوله: (فاحملني) أي: جد لي راحلة من بعير ونحوه أركبه أو تحملني عليه.

وقد حذَّر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من كتمان العلم في أحاديث كثيرة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

ثالثًا: الآثار المترتِّبة على العطاء في الدُّنيا والآخرة.

من صور الحثِّ على العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة؛ بيان آثاره المترتِّبة عليه في الدُّنيا والآخرة؛ مما يحرِّض النَّاس على فعله، ومن ذلك:

١- البركة في المال وزيادته:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[3].

فقوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال» لأهل العلم في المراد بذلك قولان: أحدهما: أنَّه بقدر ما نقص منه يزيده الله فيه وينميه ويكثِّره، والثَّاني: أنَّه وإن نقص في نفسه ففي الثَّواب والأجر عنها ما يجبر ذلك النقص بأضعافه[4].

٢- تفريج الكروب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...." [5].

وقوله ﷺ: «مَن نفَّس ...»: يقال نفَّس عنه تنفيسًا إذا رفعته وفرَّجت عنه، مأخوذ من قولهم: أنت في نفس أي سعة، كأن من كان في كربة وضيق سد عنه مداخل الأنفاس، فإذا فرج عنه

(١) الكاشف عن حقائق السُّنن: ٢/ ٦٦٨.

(٢) سنن أبي داود – كتاب العلم - باب كراهية منع العلم، ج:٥، ص:٥٠٠، رقم (٣٦٥٨). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) عياض، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، ت يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع-مصر، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٨/٥٩.

(٥) صحيح مسلم – كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ج:٤، ص:٢٠٧٤، رقم (٢٦٩٩).

فتحت المداخل[1].

٣- نيل الأجر العظيم والجزاء الوفير:

فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ - أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ - «[2].

وقوله ﷺ: «كلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقته»: قيل: إن المراد في كنف أجرها، وقيل: بل المراد في ظلها على الحقيقة[3]، وعلى كلا الوجهين فيكون المعنى إنَّ الصَّدقة واقيةٌ لصاحبها من أهوال يوم القيامة، فتكون سببًا وحاجبًا أهوالها وعذاباتها، حتى يقضي الله بين العباد.

وقد ورد في المسألة أحاديث أخرى دالَّة على فضل العطاء والحثِّ عليه، من خلال بيان آثاره في الدنيا والآخرة، وليس القصد استقصاؤها في هذا البحث الموجز.

والحاصل أنَّه: يتَّضح من خلال استقراء الأحاديث النَّبويَّة أنَّ العطاء سلوك إيمانيٌّ عميق، وهو مظهر من مظاهر الرحمة الإلهيَّة التي أرادها النَّبيُّ ﷺ أن تسري في المجتمع المسلم.

وقد تعدَّدت صور الحثِّ عليه في السُّنَّة النَّبويَّة، سواء في المال أو العلم أو النَّصيحة أو أيِّ باب من أبواب الخير، مما يُبرز أهميَّة العطاء في بناء الإنسان والمجتمع.

المبحث الثَّاني: ظاهرة العطاء الإلهيِّ في السُّنَّة النَّبويَّة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: العطاء الإلهي الدينيُّ في السُّنَّة النَّبويَّة.

المطلب الثَّاني: العطاء الإلهي الدنيويُّ في السُّنَّة النَّبويَّة.

المطلب الثالث: خصائص العطاء الإلهيِّ ودلالاته العقديَّة والتَّربويَّة كما تُفهم من السُّنَّة النَّبويَّة.

(١) شرح مشكاة المصابيح: ٢/ ٦٦٥.

(٢) مسند أحمد، ج:٢٨، ص:٥٦٨، رقم (١٧٣٣٣). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) المباركفوري، أبو الحسن عبيدالله بن محمد عبدالسلام، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المفاتيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء- الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ- ١٨٤م: ٦/ ٣٦١.

المطلب الأوَّل: العطاء الإلهيُّ الدِّينيُّ في السُّنَّة النَّبويَّة.

يُعدُّ العطاء الإلهيُّ أحد المظاهر العظمى لرحمة الله عز وجل بعباده، وقد حفلت السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة بالكثير من الأحاديث التي تُظهر ألوان هذا العطاء، دينيًّا كان أو دنيويًّا، مما يعكس سعة رحمة الله وعظمة عنايته بالمؤمنين.

إنَّ العطاء الإلهيَّ الدِّينيَّ هو أعظم ما يُنعم الله به على عباده، إذ يتعلَّق بمقاصد الوجود الإنسانيِّ، وغايات التَّكليف، وهو يشمل ما يمنحه الله لعباده من الإيمان، والهداية، والمغفرة، والتَّوفيق للطَّاعة، والسَّكينة، ومحبَّة الله ورضوانه.

وقد زخرت السُّنَّة النَّبويَّة بأحاديث شريفة تصف هذا العطاء، وتبيِّن كيف يُمنح، ولمن يُمنح، وما آثاره في الدُّنيا والآخرة، وذلك كما يأتي:

أوَّلًا: عطاء الإيمان والتَّوحيد.

الإيمان هو أوَّل صور العطاء الدِّينيِّ؛ لأنَّه أصل القبول عند الله، وأساس النَّجاة.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ)[1].

فهذا الحديث يُبيِّن أن نطق التَّوحيد المقرون بالكفر بالطَّاغوت، حال كون العبد مؤمنًا موقنًا بذلك؛ يُعدُّ سببًا لعطاء ربَّانيٍّ يتجلَّى في صَون النَّفس والمال، ثم في الجزاء الأخرويِّ عند الله تعالى.

ويجدر التَّنبيه على أنَّ: الإيمان ليس محضَ اختيارٍ شخصيٍّ، بل هو توفيق إلهيٌّ.

فعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ....)[2].

فالسَّعادة والشَّقاء – وهما هنا بمعنى: الإيمان والكفر – مذكوران ضمن ما يُقدِّره الله لعباده؛ مما يدلُّ على أنَّه عطاء إلهيٌّ يُمنح لمن يشاء بحكمته وعدله.

(١) صحيح مسلم – كتاب الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ج:١، ص:٥٣، رقم (٢٣).

(٢) صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة، ج:٤، ص:١١١، رقم (٣٢٠٨).

ثانيًا: عطاء الهداية والاستقامة.

الهداية إلى الصِّراط المستقيم من أجلِّ العطايا، وهي ثمرة التَّوجه الصَّادق إلى الله.

ففي حديث أمِّ المؤمنين السَّيدة عائشة رضي الله عنها أن كان من دعاء استفتاحه صلى الله عليه وسلم في الصلاة: (... وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ..) (١).

ففي الحديث توجيه نبويٌّ لسؤال الهداية؛ لأنَّها منحة لا تُنال بالاجتهاد فقط، بل هي عطاء يفيضه الله على من شاء.

وعليه؛ فإنَّ الهداية إلى الحقِّ والعمل الحسن ليست ذاتيَّة المنشأ، بل ربَّانيَّة المصدر.

ثالثًا: عطاء المغفرة والتَّوبة.

المغفرة من أوسع أبواب العطاء الإلهيِّ الدِّينيِّ، وقد بيَّنت السُّنَّة ذلك بأحاديث كثيرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا)(٢).

فهذا الحديث يدلُّ على أنَّ الله لا يقتصر في عفوه على المحو فقط، بل يقرنه بالفرح الإلهي بعودة عبده؛ مما يعكس طبيعة العطاء الربَّانيِّ القائم على الرحَّمة الواسعة، وفي الحديث عظيم رحمة الله بعباده، وعظيم حبِّه سبحان لعبده التَّائب.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)(٣).

فهذا عطاء واضح: غفران الذُّنوب مقابل تسبيح يسير، وعظيم الثَّواب على العمل القليل، وهو مما يُبيّن لطف الله بعطائه الدِّينيِّ، وسعة رحمته، وعظيم كرمه سبحانه.

رابعًا: عطاء محبَّة الله ورضاه.

من أعظم العطاءات الدِّينيَّة: أن يُحَبَّ العبدُ من الله تعالى، وأن ينال رضاه.

---

(١) صحيح مسلم – كتاب صلاة المسافرين - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ج:١، ص:٥٣٤، رقم (٧٧٠).

(٢) صحيح مسلم – كتاب التوبة - باب في الحض على التوبة والفرح بها، ج:٤، ص:٢١٠٢، رقم (٢٦٧٥).

(٣) صحيح البخاري – كتاب الدعوات - باب فضل التسبيح، ج:٨، ص:٨٦، رقم (٦٤٠٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ)[1].

ومعنى: (يوضع له القبول..): أي: قبول قلوب العباد ومحبتهم له، وميلهم إليه ورضاهم عنه، ويفهم منه أنَّ محبة قلوب النَّاس علامة محبَّة الله عزَّ وجلَّ، وما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، ومحبَّة الله إرادة الخير، ومحبَّة الملائكة استغفارهم له، وإرادتهم خير الدُّنيا والآخرة له، أو ميل قلوبهم إليه؛ وذلك لكونه مطيعًا لله تعالى محبوبًا له[2].

فهذا الحديث يُصوّر العطاء الدِّينيَّ في أرقى صوره؛ لأنَّه يتعلّق بالمحبَّة الإلهيَّة التي تستتبع القبول في الأرض والرضا في الآخرة.

خامسًا: عطاء الطُّمأنينة والسَّكينة في الدُّنيا.

ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ...) [3].

فهذا العطاء – السَّكينة – ليس ماديًا، بل هو عطية روحية يشعر بها قلب المؤمن عند الإيمان أو الطاعة، وهي دليل على رضا الله وكرمه.

وكذلك الطُّمأنينة التي تنزل على القلوب في مجالس الذِّكر هي عطاء ربَّانيٌّ خاص، وتقييد الاجتماع بالمساجد مشعر باشتراط نيل الفضيلة بوجود المجتمعين فيها لا في غيرها، وفي ذلك من فضل المساجد وبركة الوجود فيها لأداء شتى وجوه العبادات ما لا يوجد في غيرها، وفي الحديث فضل تلاوة القرآن وتدارسه.

والمراد بالسَّكينة: الطُّمأنينة والوقار[4].

(١) صحيح البخاري – كتاب التوحيد - باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة، ج:٩، ص:١٤٢، رقم (٧٤٨٥).
(٢) العيني، بدر الدين أبو محمد محمود، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، إدارة الطباعة المنيرية-مصر، ٢٢/ ١٢١.
(٣) صحيح مسلم – كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ج:٤، ص:٢٠٧٤، رقم (٢٦٩٩).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٧/ ٢١.

سادسًا: عطاء القبول في الطَّاعة والتَّوفيق لها.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ) قَالُوا: وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: (يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ)(١).

فهذا العطاء لا يُقَدَّر بثمن؛ لأنَّه علامة الخاتمة الحسنة، والتَّوفيق إلى الطَّاعة قبل الموت، ممَّا يدلُّ على القرب من الله، وفي الحديث من علامات حسن الخاتمة ما لا يخفى على متأمِّل؛ فأن يختم العبد حياته الزَّائلة بعملٍ صالح يلقى الله تعالى به دليل مرضاة لله عنه، ووصف العمل بـ «الصالح» عامٌّ يشمل سائر الطاعات، فلا ينحصر بوجه من وجوهها، ولا باب من أبوابها؛ فإنَّ كلَّ عبدٍ ميسَّر لما خلق له وما يختم له به.

سابعًا: عطاء التَّفقُّه في الدِّين.

من أعظم العطاءات الإلهيَّة التي أُشير إليها في السُّنَّة النَّبويَّة عطاء التَّفقُّه في الدِّين، وهو عطاء لا يعدله عطاء دنيوي.

ففي حديث معاوية يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ...» (٢).

وفي هذا الحديث إشارة إلى أنَّ التفقُّه في الدِّين ليس مكتسبًا محضًا، بل هو عطاء ربانيٌّ، يختصُّ الله به من يشاء، ثم إنَّ التفقُّه في الدِّين لا ينحصر في باب واحد من أبواب العلم، بل يشمل سائر علوم الشَّريعة كالتَّفسير والحديث والعقيدة والفقه، وما تتفرَّع عنها هذه العلوم، إن أريد بها وجه الله فهو من أعظم الطاعات.

والحاصل أنَّ: العطاء الإلهيَّ الدِّينيَّ هو أسمى أنواع العطاءات، إذ يشمل الهداية، والإيمان، والمغفرة، والرضا، ومحبة الله، وهو عطاء لا يُشترى بالمال، ولا يُنال بالقوة، بل يُمنَح لعبادٍ اختصَّهم الله برحمته وفضله. والسُّنَّة النَّبويَّة تمثِّل مرجعًا ثريًا يبرز هذا العطاء في أجمل صُوَره، ويُحفِّز المؤمنين إلى التوجُّه إلى الله لطلبه.

(١) مسند أحمد، ج:١٩، ص:٩٤، رقم (١٢٠٣٦). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) صحيح البخاري – كتاب العلم - باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ج:١، ص:٢٥، رقم (٧١).

المطلب الثَّاني: العطاء الإلهيَّ الدُّنيويُّ في السُّنَّة النَّبويَّة.

إنَّ العطاء الإلهيَّ لا يقتصر على ما يرتبط بالآخرة، بل يمتدُّ ليشمل حياة الإنسان في دنياه، من: رزق، وصحَّة، وأمن، ونصر، وتمكين، وذريَّة، وسعادة، وطمأنينة نفس.

وقد عبَّرت السُّنَّة النَّبويَّة عن هذا العطاء تعبيرًا واضحًا، يبرز أنَّ نعم الدُّنيا لا تصدر إلا من فيض فضل الله، وأنَّ ما يُمنح للعبد من الخير في الدُّنيا، إنَّما هو من عطاء ربانيٍّ، تفضَّل الله به على عباده، رحمةً وابتلاءً.

ومن صور العطاء الإلهيِّ الدُّنيويِّ في السُّنَّة النَّبويَّة ما يأتي:

أولًا: عطاء الرزق وتوسيعه.

الرزق من أبرز صور العطاء الدنيوي، والسُّنَّة النَّبويَّة تُظهر أنَّه يُمنح من عند الله لا بمحض سعي الإنسان.

فعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)(١).

ففي هذا الحديث بيانٌ بأنَّ الرزق محض عطاء من الله، وأنَّ التوَّكُّل عليه سبب لجلبه، وهو عطاء دنيويٌّ يدلُّ على لطف الله، وأنَّ الإنسان لا ينبغي أن يغترَّ بقدراته.

ففي حديث ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «.. لَا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْقَى فِي رُوعِيَ أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ... »(٢).

فلا عبرة بما يتوهَّمه كثير من النَّاس من نسبة الرزق لأنفسهم أو لقدراتهم أو لمهاراتهم أو لسعيهم ونحو ذلك من حضوض النَّفس فيكون في مقام قارون إذ قال عن أمواله: {إنَّما أوتيته على علم عندي} فكان عاقبته ما قصَّ الله علينا عقوبته إذ قال: {فخسفنا به وبداره الأرض} نعوذ بالله من العجب والغرور والطغيان والكفران.

(١) سنن الترمذي – أبواب الزهد - باب في التوكل على الله، ج:٤، ص:١٥١، رقم (٢٣٤٤).

(٢) الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، كتاب البيوع، ج:٢، ص:٥، رقم (٢١٣٦). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ثانيًا: عطاء الصِّحَّة والعافية.

الصِّحة نعمة دنيويَّة عظيمة، وقد أشار النَّبيُّ ﷺ إلى أنَّها من أكبر العطايا التي يغفل عنها كثير من النَّاس.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ)(١).

والحديث يدلُّ على أنَّ الصِّحَّة عطيَّة من الله تعالى، وأنَّ من يَغفل عن شكرها يكون مغبونًا خاسرًا.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَدْ أَفْلَحْتَ»(٢).

فالعفو شامل لكلِّ خطيئة وذنب ومعصية، والعافية شاملة لعافية البدن من الأسقام والأمراض، وعافية الدين من الابتداع والانحراف عن الصِّراط المستقيم، فهذا الحديث من جوامع الأدعية المأثورة؛ فإنَّه شمل خَيرَي الدُّنيا والآخرة.

ثالثًا: عطاء الأمن والأمان.

الأمن عطيَّة ربَّانيَّة يظهر أثرها في سكينة القلب، والطمأنينة في الحياة.

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)(٣).

وهذا الحديث يُظهر أنَّ الأمن وهو يشمل الأمن في النَّفس والأهل والدِّين، مع المعافاة من الأسقام والأمراض التي تصيب البدن؛ فهو في نعمة تُساوي امتلاك الدُّنيا بأكملها، وهي من

(١) صحيح البخاري – كتاب الرقاق - باب: لا عيش إلا عيش الآخرة، ج:٨، ص:٨٨، رقم (٦٤١٢).

(٢) سنن ابن ماجه – كتاب الدعاء - باب الدعاء بالعفو والعافية، ج:٥، ص:١٨، رقم (٣٨٤٨). وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٣) سنن الترمذي – أبواب الزهد – باب منه، ج:٤، ص:١٥٢، رقم (٢٣٤٦). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

جملة عطايا الله التي لا يدركها أكثر النَّاس.

رابعًا: عطاء الذُّريَّة والنَّسل.

الذُّريَّة الصَّالحة من عطاءات الله الدُّنيوية، وقد دعا إليها الأنبياء، وأشار إليها النَّبيُّ ﷺ في مواضع كثيرة.

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا، قَالَ: «لَا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ»(١).

فهذا الحديث يدلُّ على أنَّ الذُّريَّة من النِّعم التي يمنُّ الله بها على عباده، وأنَّها تندرج ضمن دائرة العطاء الدنيوي الذي يُثاب عليه العبد، وأنَّ المرأة الولود مقدَّمة على ذات الحسب والجمال، وفي ذلك تعظيم لصفة الإنجاب لدى المرأة، وأنَّها خير من التي لا تلد ولو كانت ذات حسب وجمال.

خامسًا: عطاء النَّصر والتَّمكين.

النَّصر في الدُّنيا على الأعداء من صور العطاء التي وعد الله بها عباده المؤمنين، وقد ظهر ذلك في السِّيرة النَّبويَّة.

ففي حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: (اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي...)(٢).

ثم أنزل الله نصره، وكان ذلك عطاءً إلهيًا تحقَّق بالدُّعاء والطَّاعة والثِّقة بالله سبحانه، وفي الحديث عظيم منزلة الدعاء وعظيم أثره في تحقيق شتَّى صور العطاء من الله تعالى.

(١) سنن أبي داود – كتاب النكاح - باب في تزويج الأبكار، ج:٣، ص:٣٩٥، رقم (٢٠٥٠). وقال الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) صحيح مسلم – كتاب الجهاد والسير - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم ج:٣، ص:١٣٨٣، رقم (١٧٦٣).

سادسًا: عطاء المال، والبركة فيه.

المال في أصله من عطاء الله لعباده، وقد بيّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ الصَّدقة لا تُنقص المال، بل تزكِّيه وتزيده.

ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ...)[1].

وهذا يشير إلى أنَّ البركة في المال عطاءٌ إلهي، وفضل من الله عظيم، فهو لا يخضع لحسابات أهل الدُّنيا الماديَّة، والتي تثبت أنَّ الأخذ من الشَّيء يُنقصه، فالإنفاق من أسباب زيادة المال زيادة حسيَّة بزيادة مقداره، أو معنوية بزيادة البركة فيه، فتتحققَّ منه منافع تفوق قيمته، وتتجاوز أمثاله.

سابعًا: عطاء المكانة الاجتماعيَّة والقبول بين النَّاس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ)[2].

فالمحبَّة بين النَّاس ليست مجرَّد كسب اجتماعيٍّ، بل هي عطاء من الله، يتنزَّل على مَن يُرضي الله، وقد تقدم معنى (يوضع له القبول...) آنفًا.

ثامنًا: عطاء النَّجاح والتوفيق في شؤون الدنيا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ....» [3].

وهو توجيه إلى طلب النَّجاح والتَّوفيق، ولكن مقرون بالاستعانة بالله؛ لأنَّها مصدر العطاء الحقيقيِّ في كلِّ نجاح دنيويٍّ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم – كتاب القدر - باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ج:٤، ص:٢٠٥٢، رقم (٢٦٦٤).

والحديث من جوامع الكلم النَّبويِّ؛ إذ فيه الحثَّ على أن يحرص المؤمن على تحصيل كلِّ ما ينفعه من خيري الدِّين والدُّنيا، ومتضمِّنٌ لعلو الهمَّة، وترك الكسل والخمول؛ فإنَّ تحصيل الخير بشتَّى وجوهه لا يتحصَّل إلَّا بنشاط وهمَّة وسعي حثيث، بقدر كلِّ باب من أبواب الخير.

تاسعًا: عطاء المطر والخصب والرخاء.

روى ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا « قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة: ٧٥]، حَتَّى بَلَغَ: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: ٨٢] (١).

ففي الحديث بيان أنَّ المطر عطيَّة من الله، ومن ينسبه إلى غير الله يكون جاحدًا للعطاء، مشركًا به سبحانه.

فائدة: من تأمَّل النُّصوص النَّبويَّة؛ يجد أنَّ العطاء الدُّنيويَّ غالبًا ما يكون وسيلة للعطاء الدِّينيِّ، والعكس كذلك.

فمثلاً: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ..)(٢).

فالمال، وهو عطاء دنيويٌّ، إذا أُنفِق في سبيل الله، صار وسيلة لعطاء دينيٍّ أعظم، وهو: دخول الجنَّة.

والحاصل أنَّ: العطاء الإلهيَّ الدُّنيويَّ في السُّنَّة النَّبويَّة متنوِّع، يتضمَّن الرزق، الصِّحة، الأمن، الذريَّة، النَّصر، البركة، القبول، والنَّجاح، وغيرها. وهذا العطاء ليس دليلاً حتميًا على رضا الله، لكنَّه يُمنح للابتلاء أو الإكرام.

وقد وجَّهت السُّنَّة النَّبويَّة المسلمين إلى شكر هذه النعم، ونِسبتها إلى الله، والتَّوسل بها إلى عطائه الأكبر في الآخرة.

(١) صحيح مسلم – كتاب الإيمان - باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، ج:١، ص:٨٤، رقم (٧٣).
(٢) سبق تخريجه.

المطلب الثَّالث: خصائص العطاء الإلهيِّ ودلالاته العقديَّة والتَّربويَّة كما تُفهم من السُّنَّة النَّبويَّة.

أوَّلًا: خصائص العطاء الإلهيِّ.

العطاء الإلهيُّ مظهر من مظاهر رحمة الله الواسعة، وتجلِّي لجوده وكرمه، وقد تعدَّدت صوره في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، فإنَّه يُظهر كيف يمنُّ الله على عباده بالنِّعم الدُّنيويَّة والدِّينيَّة، والماديَّة والمعنويَّة، ابتداءً من الهداية والتَّوفيق، وانتهاءً بالمغفرة والرزق والنَّصر.

ومن أبرز خصائص العطاء الإلهيِّ - دينيًّا أو دنيويًّا - ما يأتي:

١- عطاء لا ينقطع:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...)[١].

وهذا يدلُّ على أنَّ عطاء الله دائم غير منقوص، وأنَّ من سعى للظفر بعطايا الله تعالى فعليه أن يبادر هو بالعطاء، كلٌّ بحسبه، فالإنفاق غير حصور بالمال، بل بذل كلِّ وجه من وجوه الخير والمنافع هو داخل في الإنفاق في سبيل الله إذا كان خالصًا له سبحانه، وأنَّى لعطاء العبد الضَّعيف القاصر أن يقارن بعطاء الله الغنيِّ الكريم.

٢- عطاء يوافق مصلحة العبد:

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَخَافُونَهُ عَلَيْهِ)[٢].

فقد يُحرم العبد من أمر دنيويٍّ؛ لأنَّه ليس في مصلحته، وذلك من تمام العطاء الإلهيِّ، ورحمته بعبده الصَّالح، وتصدير الكلام بـ «إنَّ» للاهتمام بالخبر، ولكوه مما يستبعد في الطبائع، فإنَّ الحرمان قد يكون عين العطاء من الله تعالى، وأنَّ التَّجرُّد من حظوظ الدُّنيا وملذاتها إنَّما هو لصيانة العبد من أن يتسفَّل إلى مصاف أهلها.

٣- عطاء يتفاوت باختلاف القلوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: (فِيهِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ) وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسند أحمد، ج:٣٩، ص:٣٣، رقم (٢٣٦٢٢). وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري – كتاب الجمعة - باب الساعة التي في يوم الجمعة، ج:٢، ص:١٣، رقم (٩٣٥).

فهذا يبيّن تفاوت العطاء بحسب التَّقوى والنِّيَّة والإخلاص، وأنَّ بعض الأوقات أدعى لاستجلاب العطاء واستجابة الدعاء من غيرها من الأوقات.

فهذه أبرز خصائص العطاء الإلهيِّ، وقد تبيَّن من خلال الأحاديث الشَّريفة أنَّ العطاء الإلهيَّ لا يُقاس بالأشياء المحسوسة فحسب، بل يشمل أعظم ما يُمنح للإنسان؛ كالهداية والإيمان والسَّكينة والرحمة، وأنَّ هذا العطاء تحكمه حِكمة إلهيَّة عظيمة تستوجب التأمُّل والتَّسليم.

ثانيًا: الدَّلالات العقديَّة والتربويَّة للعطاء الإلهيِّ في السُّنَّة النَّبويَّة.

تبرز السُّنَّة النَّبويَّة العطاء الإلهيَّ كمنظومة متكاملة تشمل الدُّنيا والآخرة، وتخاطب الجسد والروح، وتُشعر العبد بأنَّه في رعاية الله وعطائه ما دام يسير في طاعته.

ومن أبرز الدَّلالات العقديَّة والتربوية للعطاء الإلهيِّ في السُّنَّة النَّبويَّة ما يأتي:

١- تعميق الإيمان بصفات الله:

إنَّ فهم العطاء الإلهيَّ يعزِّز الإيمان بصفة الكرم والجود الإلهيِّ، كما روي عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ ...) (١).

ففي الحديث إثبات لصفة الطيب والكرم والجود، وإثبات لصفة المحبَّة بوجه عام، وصفة حبِّ النَّظافة بوجه خاصٍّ، ومحبته سبحانه للطَّيِّب والنَّظيف والكريم والجواد تقتضي رضاه سبحانه عن هؤلاء؛ بسبب تلك الصِّفات.

٢- تحفيز العمل الصَّالح:

ومن ثَمَّ؛ ربط العطاء بالإحسان والسُّلوك القويم، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...)(٢).

وهذا يدلُّ على أنَّ العطاء مشروط غالبًا بالعمل، ومعنى (نفَّس): فرَّج(٣)، وأزاح عن أخيه ما ألم به من ضيق وكرب، وتنكير (كربة) يفيد الإطلاق، أي: سواء كانت صغيرة أم كبيرة، فلا يضيع

(١) سنن الترمذي – أبواب الأدب - باب ما جاء في النظافة، ج:٤، ص:٤٠٩، رقم (٢٧٩٩). وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٩٤.

عند الله تعالى أجر عمل صالح، ولمَّا كان الجزاء من جنس العمل، فجزاء هذا التَّنفيس في الدُّنيا تنفيس وتفريج يوم القيامة.

٣- تقوية التَّوكُّل واليقين:

حين يرى المؤمن أنَّ العطاء بيد الله وحده، يتحقَّق توكُّله، كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)[1].

فهذا الحديث من جوامع الكلم؛ إذ تضمَّن فوائد وتأصيلات غاية في الأهمِّيَّة يعسر حصرها في هذا المختصر، منها: تحقيق التَّوحيد بتحقيق التوَّكُّل، والإيمان بقدرة الله وإحاطته بالخلق، ومقادير الخلق، وتمام قدرته سبحانه، وأن لا شيء يحصل في هذا الكون إلَّا بإرادته سبحانه تقديره، ومن ذلك العطاء بكلِّ وجوهه وأبوابه.

ممَّا سبق يتبيَّن: أنَّ العطاء الإلهيَّ كما ورد في السُّنَّة النَّبويَّة ليس محصورًا في الجانب المادِّيِّ فحسب، بل يشمل الهداية والمغفرة والسَّكينة والرزق وغير ذلك.

وقد دلَّت الأحاديث النَّبويَّة على سعة هذا العطاء، وعلى ارتباطه بحكمة الله وعدله ورحمته، ومن هنا، فإنَّ التَّفاعل مع هذا العطاء يكون بالإيمان، والعمل الصَّالح، والصَّبر.

المبحث الثَّالث: ظاهرة عطاء النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلم

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: عطاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم القوليُّ.

المطلب الثَّاني: عطاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الفعليُّ.

(١) سنن الترمذي – أبواب صفة القيامة – باب منه، ج:٤، ص:٢٤٨، رقم (٢٥١٦). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

المطلب الأوَّل: عطاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم القوليُّ.

تُعد شخصيَّة النَّبيِّ محمد ﷺ أنموذجًا كاملاً للعطاء في أسمى صوره، فقد جمع بين الكلمة الطَّيِّبة، والفعل الكريم، والسُّلوك النَّبيل، وكان عطاؤه شاملاً لا يقتصر على المال أو الطَّعام، بل امتدَّ إلى الكلمة الطَّيبة، والدُّعاء، والنَّصيحة والتَّعليم والشَّفاعة، وتظهر صور هذا العطاء جليَّة في السُّنَّة النَّبويَّة، قولاً وفعلاً.

وسأقتصر في هذا المطلب على أبرز صور العطاء القوليِّ من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كما وردت به السُّنَّة المشرَّفة. ومن ذلك:

أوَّلًا: عطاء التَّعليم والإرشاد.

من أبرز صور العطاء القوليِّ: تعليمه ﷺ للنَّاس أمور دينهم، وكان ﷺ يخصُّ كلَّ فئة بما يناسبها، ويُجيب كلَّ سائل بما ينفعه.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...) (١).

فقوله ﷺ: (من سلك طريقًا) يفيد ثبوت الأجر لطالب العلم قبل تلقيه العلم، بل بمجرد سلوكه الطريق يثبت له الأجر، استحق تسهيل الطريق إلى الجنَّة، وهذا من عظيم فضل الله وسعة كرمه، ومن عظيم منزلة العلم، فإذا كان هذا ثواب السُّلوك إليه فما بالك بثواب العلم نفسه إذا كان خالصًا لله تعالى.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في تعليم أصحابه: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)(٢).

فالتَّعليم والإرشاد كان عطاءً نبويًّا دائمًا وعامًّا، غير مقصور على فئة من الناس، ولا مؤقتًا بزمان دون آخر من الأزمنة.

ثانيا: عطاء الدعاء.

كان من أقواله صلى الله عليه وسلم: الدُّعاء للنَّاس في شتَّى شؤونهم، وهذا من أسمى العطاءات.

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج:٤، ص:١٧٠، رقم (٣٤٦١).

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَادِمُكَ أَنَسٌ، ادْعُ اللَّهَ لَهُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ»(١).

وهذا الحديث يُظهر كيف أنَّ دعاء النَّبيِّ ﷺ كان عطاءً يفيض بركة ورحمة، وفيه جواز الدُّعاء بالمال والولد ونحو ذلك من مطالب الدُّنيا ومصالحها، وليس في ذلك ما يناقض الزُّهد والحرص على الآخرة.

ثالثا: عطاء الكلمة الطَّيِّبة والبِشر والبشارة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ...)(٢).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(٣).

فهذان الحديثان يدلّان على أنَّ الكلمة والابتسامة كانتا من عطائه ﷺ القولي، وفي الحديث: النَّهي عن استحقار العمل الصَّالح، ولو كان هيِّنا قليلًا وسهلًا.

وغير ذلك من الأحاديث النَّبويَّة الكثيرة، وكلُّ أقواله صلى الله عليه وسلم هي عطاء قوليٌّ عظيم النَّفع والبركة لأمَّته.

المطلب الثَّاني: عطاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الفعليُّ.

جاء النَّبيُّ محمَّد ﷺ إلى العالم برسالة الرحمة والعطاء، وكانت أفعاله تجسيدًا عمليًا لقيم الإسلام وتعاليمه، ولم يكن عطاؤه محصورًا في الأقوال، بل ظهر جليًّا في أفعاله اليوميَّة والاجتماعيَّة والدعويَّة والسياسيَّة والعسكريَّة.

وقد خلَّد الصَّحابة والتَّابعون صورًا كثيرة من عطائه العمليِّ، ممَّا يجعل دراستها ضروريَّة لفهم النموذج النَّبويِّ الكامل، ومن صور ذلك العطاء:

(١) صحيح البخاري – كتاب الدعوات - باب دعوة النَّبيّ صلى الله عليه وسلم لخادمه بطول العمر، وبكثرة ماله، ج:٨، ص:٧٥، رقم (٦٣٤٤).

(٢) سنن الترمذي – أبواب البر والصلة - باب ما جاء في صنائع المعروف، ج:٣، ص:٤٠٤، رقم (١٩٥٦).

(٣) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ج:٤، ص:٢٠٢٦، رقم (٢٦٢٦).

أولًا: عطاء النَّبيّ ﷺ المالي، ويتبيَّن ذلك بما يلي:

١- الجود بالسَّخاء والكرم:

قد عُرِف النَّبيُّ ﷺ بأنَّه كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وكان يقدِّم المال للوافدين والضُّعفاء والمحتاجين حتى دون سؤال أحيانًا.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: (مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ)(١).

والفاقة: الحاجة والفقر(٢).

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: (أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ الخَلْقِ إِلَيَّ، فَمَا زَالَ يُعْطِينِي، حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ الخَلْقِ إِلَيَّ)(٣).

وفي الحديث عظيم أثر الإحسان، والبذل والعطاء في تغيير صدور المبغضين من الكافرين بل ومن المسلمين من باب أولى.

وقال جابر بن عبد الله: (مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لاَ)(٤).

وهذا يُظهر سموُّ عطائه صلى الله عليه وسلم حتى بلغ حدَّ الدَّهشة لدى الأعراب والمشركين.

٢- الإنفاق على الفقراء والوفود:

وكان من سنَّته صلى الله عليه وسلم في التَّعامل مع القادمين إليه أن يُكرم الوفود، ويُعطيهم من المال والأنعام والكسوة والطَّعام؛ ممَّا جعله محور الثِّقة والانجذاب القلبيِّ.

عن عبد الله بن الزُّبير: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَعِي مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا المَالَ....)(٥).

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الفضائل - باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه ج:٤، ص:١٨٠٦، رقم (٢٣١٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٤٨١.

(٣) سنن الترمذي – كتاب الزكاة - باب ما جاء في إعطاء المؤلفة قلوبهم ج:٢، ص:٤٦، رقم (٦٦٦). وقال الترمذي: حديث صحيح.

(٤) صحيح البخاري – كتاب الأدب - باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل ج:٨، ص:١٣، رقم (٦٠٣٤).

(٥) صحيح البخاري – كتاب المغازي - باب قول الله تعالى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ} [التوبة: ٢٦] ج:٥، ص:١٥٣، رقم (٤٣١٨).

وهذا يدلُّ على حُسن تصرُّف النَّبيِّ ﷺ ببُعد نظر وعطاء عظيم في إدارة شؤون الدَّولة.

ثانيًا: عطاء النَّبيِّ ﷺ بالنَّفس والتَّضحية.

١- حضوره الميدان ومشاركته في القتال:

لم يكن النَّبيُّ ﷺ قائدًا في الظِّل، بل كان في مقدِّمة الصُّفوف، يشارك بنفسه في القتال ويحفز الجنود.

عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنَ القَوْمِ مِنْهُ)[١].

ومعنى «احمرَّ البأس»: أي اشتدَّت الحرب، واحمرار الشَّيء شدَّته[٢].

فالنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقدِّم نفسه ليحمي أمَّته ويقيهم في أشدِّ الأوقات، وفي الحديث شجاعة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، في نفسه وبدنه، وإقدامه عن نزول الابتلاءات، واشتداد القتال.

٢- تحمل الجوع والضنك مع أصحابه:

عاش النَّبيُّ ﷺ حياة التَّقشُّف مع أصحابه ولم يكن يفضِّل نفسه عليهم.

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»[٣].

وهذا يدلُّ على تجلٍّ واضحٌ للعطاء بالتَّقشُّف والصَّبر مع الفقراء، وعلى شدَّة مقاساته صلى الله عليه وسلم في حياته اليوميَّة، وعظيم صبره وتحمُّله قساوة الحياة وضنك العيش.

ثالثًا: عطاء النَّبيِّ ﷺ الاجتماعيِّ.

١- خدمته لأهله وبيته:

لم يكن النَّبيُّ ﷺ يترفَّع عن أعمال البيت، وإنَّما كان يشارك أهله في أعمال البيت، فعَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ

(١) مسند أحمد ج:٢، ص:٤٥٣، رقم (١٣٤٧). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح

(٢) النهاية في غريب الحديث: ١/ ٤٣٨.

(٣) صحيح مسلم – كتاب الزهد والرقائق – باب الزهد ج:٤، ص:٢٢٨٣، رقم (٢٩٧٤).

فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ»(١).

فهذا عطاء إنسانيٌّ وتربويٌّ يُقدِّم القدوة في التواضع، وفي الحديث تواضعه صلى لله عليه وسلم، وخفض جناحه مع أهل بيته، وعدم ترفُّعه عن أداء أعمالٍ قد يستنكفها كثير من النَّاس.

٢- خدمة النَّاس بنفسه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ)(٢).

ففي الحديث لين جانب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم مع أفراد أمَّته وإن كانوا من أسافلهم وأقلِّهم شأنًا، وسهولة انقياده لحاجاتهم، وحرصه على قضاء حوائجهم ورفقه بهم، فكان ﷺ يقضي حوائج النَّاس بنفسه، ويزور المرضى ويشيِّع الجنائز، ويجالس الفقراء؛ فقد كان عطاءه صلى الله عليه وسلم الاجتماعيُّ ينبع من تواضعه وحرصه على النَّاس.

والحاصل أنَّه: قد مثَّل العطاء الفعليَّ للنَّبيِّ ﷺ مدرسةً متكاملة في البذل والتَّضحية والتَّواضع، شمل المال والنفس والعمل والإصلاح، ولم يكن عطاءه مقتصرًا على الأصدقاء، بل عمَّ به العدوَّ قبل الصَّديق، والغنيَّ قبل الفقير، والصَّغير قبل الكبير.

وعليه؛ فإنَّ الاقتداء بعطائه ﷺ هو حجر الزاوية في بناء أخلاق الفرد المسلم الصَّالح، والمجتمع الفاضل؛ حيث إنَّ عطاء النَّبيِّ ﷺ كان شاملاً لا يُحدُّ بزمان ولا مكان، ولا يقتصر على إنسان دون آخر، فقد قدَّم للبشريَّة كلَّ ما بوسعه من عطايا، من قول وفعل؛ تعليم ودعاء، نفس ومال، فكان بحقّ «نبي العطاء»، وسنَّته الشَّريفة مليئة بالدُّروس التطبيقيَّة في العطاء الشَّامل، واتِّباعه في هذا العطاء من علامات محبَّته.

المبحث الرابع: ظاهرة العطاء البشريِّ في السُّنَّة النَّبويَّة

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: أنواع العطاء البشريِّ في السُّنَّة النَّبويَّة.

المطلب الثَّاني: ثمرات العطاء البشريِّ في الدُّنيا والآخرة.

(١) صحيح البخاري – كتاب الأذان - باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج ج:١، ص:١٣٦، رقم (٢٧٦).

(٢) صحيح البخاري – كتاب الأدب - باب الكبر ج:٨، ص:٢٠، رقم (٦٠٧٢).

المطلب الأوَّل: أنواع العطاء البشريِّ في السُّنَّة النَّبويَّة.

إنَّ العطاء من القيم الأخلاقية الكبرى التي دعا إليها الإسلام، وجعلها من دلائل الإيمان، ومظاهر التَّقوى، ووسائل بناء المجتمع الفاضل.

وقد جاءت السُّنَّة النَّبويَّة حافلةً بأنواع متعدِّدة من العطاء البشريِّ، سواء كان ماديًّا أو معنويًا، فرديًا أو جماعيًّا، وقتيًّا أو دائمًا.

أتناول في هذا المطلب أنواع العطاء البشريِّ في السُّنَّة النَّبويَّة، وتصنيفها وتحليلها في ضوء النُّصوص النَّبويَّة، واستجلاء الأبعاد التربويَّة والاجتماعيَّة الكامنة فيها، وذلك كما يأتي:

أولًا: العطاء الماليُّ:

١- الصَّدقة:

الصَّدقة من أبرز أنواع العطاء الماديِّ، وهي تشمل العطاء للمحتاجين والفقراء والمساكين.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(١).

فالعطاء المالي في صورة صدقة يعود على المعطي بالأجر والرفعة، وقد تقدَّم لكلام بإيجاز على معاني الحديث آنفًا.

٢- الزَّكاة:

الزَّكاة فرضٌ ماليٌّ شرَّعه الله تعالى وفرضه على المقتدرين من عباده، وجعلها النَّبيُّ ﷺ من أركان الإسلام.

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)(٢).

فالزكاة عطاء واجب تُطهَّر به الأموال وتُعالج به الفوارق الاجتماعيَّة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الإيمان - باب قول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس» ج:١، ص:١١، رقم (٨).

٣- الإنفاق على الأهل والعيال:

يُعد الإنفاق على الأسرة من أعظم أنواع العطاء المالي، الذي يؤجر عليه صاحبه، وبل ويعتبر من أعظم الصَّدقات.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»(١).

فقد دلَّ الحديث على أنَّ العطاء للأهل أولى وأعظم أجرًا في بعض الحالات من غيره، وأنَّ الله تعالى يثيب العبد على ما هو من قبيل واجباته تجاه أهله، فلا يخرجه عن الإنفاق في سبيل الله والإحسان للخلق.

ثانيًا: العطاء المعنوي.

١- الكلمة الطَّيِّبة:

الكلمة الطَّيِّبة نوع من العطاء اللَّفظيِّ الذي يؤثِّر في النُّفوس ويجبر الخواطر.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ... وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ...»(٢).

فقد جعلت السُّنَّة من القول الحسن صدقة يُثاب عليها صاحبها، وفي الحديث من عظيم كرم الله وتيسير الأعمال الصَّالحة لعباده؛ إذ جعل في الكلمة الطَّيِّبة ثواب صدقة، مع خفَّتها ويُسرها وقلَّة مؤونتها، فلا يعذر عبد عن الإتيان بمثلها وإن كان مُعدَمًا، أو مريضًا، أو مشغولًا.

٢- الابتسامة:

الابتسامة نوع من العطاء الاجتماعيِّ البسيط الذي يُشيع المحبَّة بين النَّاس.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ...» (٣).

(١) صحيح مسلم – كتاب الزكاة - باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ج:٢، ص:٦٩٢، رقم (٩٩٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وهذا يدلُّ على أنَّ الإسلام يُقرُّ بقيمة المشاعر الإنسانيَّة في صورة عطائيَّة، وأنَّ الطاعات لا تقتصر فيما يشقُّ أو يعسر عمله على العبد؛ فقد جعل الله تعالى من مجرَّد الابتسامة في وجه المسلم صدقة يؤجر عليها، وهي أخفَّ حتى من الكلمة الطَّيِّبة.

٣- الإصلاح بين النَّاس:

الإصلاح بين النَّاس من أعظم أنواع العطاء البشريِّ المعنويِّ التي تُرسي السَّلام وتُزيل الأحقاد. فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»(١).

وهذا يدلُّ على أنَّ الإصلاح عطاءٌ معنويٌّ، يعادل أركانًا من أركان التَّعبُّد، كالصِّيام والصَّلاة والصَّدقة. والمراد بذلك: النَّوافل منها دون الفرائض، كما يدلُّ على حرص الشَّريعة على نشر المودَّة ونقاء السَّرائر بين المسلمين من أن تطالها البغضاء والأحقاد وسائر أمراض القلوب، وممَّا يتفرَّع عن ذلك: صلة الرَّحم، وتآزر المسلمين فيما بينهم، ومن ثَمَّ قوَّة المجتمع المسلم، وقوَّة الأمَّة عامَّةً؛ وذلك بتضعيف أسباب الشِّقاق والبغضاء فيما بينهم، وجعلهم على قلب رجل واحد.

ثالثًا: العطاء الخدمي.

١- قضاء حوائج النَّاس:

إنَّ السَّعي في قضاء حوائج النَّاس من أسمى أنواع العطاء البشريِّ.

فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ...» (٢).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

(١) سنن أبي داود – كتاب الأدب - باب في إصلاح ذات البين ج:٧، ص:٢٨٠، رقم (٤٩١٩). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري – كتاب المظالم والغصب - باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ج:٣، ص:١٢٨، رقم (٢٤٤٢).

أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ – شَهْرًا....»[1].

وهذا يدلُّ على أنَّ العطاء من خلال خدمة النَّاس له أجر قد يفوق العبادات الفرديَّة.

٢- التَّعاون الجسديُّ:

وذلك مثل: الإعانة على حمل متاع، أو بناء، أو إنقاذ.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[2].

وهذا يدلُّ على أنَّ العطاء الجسديَّ نوع مهم من الإسهام في بناء المجتمع، وفي الحديث تنويع لأبواب العمل الصالح، فالعدل بين اثنين وإعانة الرَّجل على دابَّته أو حاجته، وكذا الكلمة الطَّيِّبة -كما تقدم- كل ذلك من أبواب الأعمال الصَّالحة التي قد لا تتاح أو تلائم كلَّ النَّاس، فمن أجل ذلك نوَّع الشَّارع أبوب الطَّاعات لتلائم كلَّ المكلَّفين، ولتكون متاحة لأدائها في كلِّ حين.

رابعًا: العطاء التربوي والعلمي.

١- التعليم والتوجيه:

لقد كان النَّبيُّ ﷺ يُعلِّم ويُربِّي ويُصحِّح دون تعنيف.

فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، (مصر: دار الحرمين، ١٩٩٨)، ج:٦، ص:١٣٩، رقم (٦٠٢٦)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه مسكين بن سراج وهو ضعيف.
ينظر: الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٩٩٤)، ج:٨، ص:١٩١، رقم (١٣٧٠٨).
(٢) سبق تخريجه.

فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»(١).

فقوله: «كهرني» الكهر: الانتهار، وقد كهره يكهره، إذا زبره واستقبله بوجه عبوس(٢).

فالتَّعليم عطاء علميٌّ وتربويٌّ له أثر متعدٍّ لا ينقطع، وفي الحديث من عظيم حسن خلق النَّبيِّ صلى الله عله وسلم، ورفقه بأمته، وطيب تعامله مع المخطئ والمسيء، ورقيِّ أدبه في التَّعليم.

٢- القدوة العمليَّة:

قدّم النَّبيُّ ﷺ نفسه نموذجًا للعطاء بالصَّبر والتَّواضع والعمل.

فعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ..." (٣).

لقد تجسَّد العطاء البشريُّ التربويُّ في شخصه ﷺ وسيرته، فقول عائشة رضي الله عنها: (خلقه القرآن) أي: جامعًا لمحاسن الأخلاق التي جاء بها القرآن، مجسِّدًا لما تضمنه من آداب ومثل عليا.

والحاصل أنَّ العطاء البشريَّ في السُّنَّة النَّبويَّة لم يكن منحصرًا في المال فقط، بل اتَّخذ أشكالًا كثيرة تشمل القول والفعل، والمشاعر والتَّعليم، والجاه والخدمة، ممَّا يعكس شموليَّة التَّصوُّر النَّبويَّ للعطاء كعنصر محوريٍّ في بناء الإنسان والمجتمع، وهو ما يؤكِّد أنَّ الاقتداء بالنَّبيِّ ﷺ في عطائه ضرورة تربويَّة وأخلاقيَّة واجتماعيَّة.

المطلب الثَّاني: ثمرات العطاء البشريِّ في الدُّنيا والآخرة.

يُعد العطاء من أعظم القيم الأخلاقيَّة التي دعا إليها الإسلام، واعتنى النَّبيُّ محمَّد ﷺ بترسيخها قولًا وفعلًا.

ويتميَّز العطاء في التَّصور الإسلاميِّ بأنَّه عبادة شاملة، تشمل: المال، والجهد، والعلم، والمشاعر، والجاه. وقد وعد النَّبيُّ ﷺ من يعطي ويُحسن في دنياه بثمرات عاجلة، وادَّخر له ثمرات أبديَّة في الآخرة.

(١) صحيح مسلم – كتاب المساجد - باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته ج:١، ص:٣٨١، رقم (٥٣٧).

(٢) النِّهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢١٢.

(٣) مسند أحمد ج:٤١، ص:١٤٨، رقم (٢٤٦٠١). وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

وأتناول في هذا المطلب بيان ثمرات العطاء البشريِّ في الدُّنيا والآخرة من خلال السُّنَّة النَّبويَّة، وتحليل النُّصوص النَّبويَّة التي تحدَّثت عن ذلك، وذلك كما يأتي:

أولًا: ثمرات العطاء البشريِّ في الدُّنيا.

١- زيادة المال والبركة فيه:

لقد أكَّدت السُّنَّة أنَّ الصَّدقة لا تُنقص المال بل تزيده بركة ومضاعفة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ...)[١].

فنفي النقص عن المال المتصدَّق به يتضمَّن وعدًا إلهيًّا بالزِّيادة المعنويَّة والمادِّيَّة، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك آنفًا.

٢- نيل محبَّة الناس وثقتهم:

من يكثر من العطاء تنجذب إليه القلوب، ويُذكر بالخير في المجالس.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: (مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ)[٢].

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: (أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ الخَلْقِ إِلَيَّ، فَمَا زَالَ يُعْطِينِي، حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ الخَلْقِ إِلَيَّ)[٣].

وهذا يدلُّ على أنَّ من ثمرات العطاء في الدُّنيا: المحبة، وتحويل العداوة إلى مودَّة.

٣- تحقيق التوازن والعدالة الاجتماعية:

لقد حثّ النَّبيُّ ﷺ على تفريج كربات المحتاجين بالعطاء؛ مما يحقق استقرار المجتمع.

أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...) [٤].

دلَّ ذلك على أنَّ العطاء سبب في تفريج الهموم وتحقيق التَّكافل المجتمعيِّ، وقد تقدَّم الكلام عن الحديث آنفًا.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

٤- مضاعفة الأجر في الحياة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ)[١].

وهذا يدلُّ على أنَّ العطاء القليل يُنمِّيه الله حتى يصير عظيمًا في الأجر.

ثانيًا: ثمرات العطاء في الآخرة.

١- مضاعفة الأجور والحسنات:

عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا)[٢].

ويُقاس على الصَّوم في الإخلاص: أعمال العطاء الخالص لوجه الله، كما في الصَّدقات السِّريَّة.

وهذا يدلُّ على أنَّ كلَّ عمل خير مضاعف، وأعمال العطاء الخالص لها مضاعفة خاصَّة.

٢- النجاة من أهوال يوم القيامة:

كما بيَّن النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ السَّبق إلى العطاء من صفات أهل الجنَّة، ويكون سببًا للنَّجاة من أهوال يوم القيامة؛ ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ .... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ..)[٣].

فالصَّدقة تقي من حرِّ يوم القيامة، وتكون ظلاً لصاحبها، ففي الحديث بشارة عظيمة لأصحاب الصَّدقات الخفيَّة بالفوز العظيم يوم القيامة، والنجاة من أهوالها، ودخول الجنَّة بإذن من الرحمن الرحيم، فإنَّ لا يقيهم من العذاب الأدنى وهو أهوال يوم القيامة، ليلقيهم في العذاب الأعظم- جهنَّم- أسأل الله أن يقينا عذابها وعذاب أهوال القيامة بمنَّه وكرمه ورحمته.

(١) صحيح البخاري – كتاب الزكاة - باب الصدقة من كسب طيب ج:٢، ص:١٠٨، رقم (١٤١٠).
(٢) صحيح البخاري – كتاب الإيمان - باب حسن إسلام المرء ج:١، ص:١٧، رقم (٤١).
(٣) سبق تخريجه.

٣- دخول الجنة:

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي... يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلاَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ..." (١).

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، - قَالَ شُعْبَةُ: أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلاَ أَشُكُّ - ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(٢).

وهذا يدلُّ على أنَّ العطاء ولو كان يسيرًا، يُنجِّي من النَّار ويُدخل الجنَّة؛ بعظيم كرم الله سبحانه وسعة رحمته.

٤- رفعة الدرجات ونيل أجر الجهاد:

عن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»(٣).

ففي الحديث دلالة على أنَّ العطاء في سبيل الله يُعادل أجر الجهاد، وهو من أعظم الأعمال في الميزان.

يتبيَّن من خلال ما سبق: أنَّ ثمرات العطاء البشريِّ في السُّنَّة النَّبويَّة تتوزع بين العاجل والآجل، وتنعكس على الفرد والمجتمع، ففي الدُّنيا يُثمر العطاء بركة في المال، وحفظًا من البلاء، ومكانة اجتماعيَّة، وفي الآخرة يكون سببًا في المغفرة، والظِّل من حرِّ يوم القيامة، والرِّفعة، ودخول الجنَّة.

وهذه الثَّمرات الربَّانيَّة تُظهر عظمة هذه الخصلة وضرورتها في حياة المسلم.

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.

الخاتمة

الحمد لله بدءًا وختمًا، لا أحصى ثناء عليه؛ هو كما أثنى على نفسه؛ فله وحده الفضل والمنة في إتمام هذا العمل؛ حيث كانت عنايته سبحانه هي التي أنارت لي السَّبيل، وذلَّلت لي الصِّعاب؛ حتَّى أتممت هذا الجهد، الذي أرجو أن يتقبَّله الله تعالى، وأن يكون لي في ميزان حسناتي وحسنات أساتذتي يوم القيامة.

وإنِّي أتوجَّه في ختام هذا العمل ببعض النَّتائج والتَّوصيات، التِّي ربَّما تفيد الباحثين من بعدي؛ فإنَّ العلم رحم بين أهله، فأقول:

أوَّلا: النَّتائج:

١- العطاء قيمة محورية في البناء الأخلاقيِّ والاجتماعيِّ للدِّين الإسلاميِّ، وأنَّ السُّنَّة النَّبويَّة زاخرة بالنُّصوص والأمثلة القوليَّة والفعليَّة التي تجسِّد هذه القيمة وتحثُّ عليها.

٢- العطاء في السُّنَّة النَّبويَّة مفهوم شامل، لا يقتصر على المال فقط، بل يشمل الكلمة الطَّيِّبة، والنَّصيحة، والابتسامة، والتَّعليم، وخدمة النَّاس، وغيرها من صور الإحسان.

٣- العطاء الإلهيُّ مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى وعدله، ويتنوَّع بين عطاء دينيٍّ كالهداية والمغفرة، وعطاء دنيويٍّ كالرزق والنَّصر، وقد جاء بيانه مفصَّلًا في الأحاديث النَّبويَّة.

٤- عطاء النَّبيّ ﷺ تميَّز بالشُّمول والتَّوازن، فكان يعطي القول الطَّيِّب، والتَّعليم، والإصلاح، وكان يُعطي المال والمأوى والطَّعام، ويؤثر على نفسه، مما جعله المثل الأعلى في الكرم.

٥- السُّنَّة النَّبويَّة أرست نماذج متعدِّدة للعطاء البشريِّ، تبدأ من الأسرة، وتمتدُّ للمجتمع، وتدعو للمبادرة والبذل دون انتظار مقابل، وتُقدِّم نماذج راقية في التَّضحية والإيثار.

٦- ثمرات العطاء عديدة في الدُّنيا والآخرة، فقد بيَّنت السُّنَّة أثره في سِعة الرزق، وحلول البركة، وقبول الدُّعاء، ومحبَّة النَّاس، ورفعة الدَّرجة في الآخرة، ودخول الجنَّة.

ثانيًا: التَّوصيات.

وفي نهاية بحثي؛ فإنِّي أوصي إخواني الباحثين بما يأتي:

١- تعزيز ثقافة العطاء في المناهج التَّعليميَّة والخطاب الدِّيني، بالاستناد إلى النَّماذج النَّبويَّة

الموثَّقة في السُّنَّة.

٢- نشر الأحاديث النَّبويَّة التي تحثُّ على العطاء بكلِّ صوره، وربطها بالسُّلوك اليوميِّ للأفراد، من خلال وسائل الإعلام والمجالس الأسريَّة.

٣- الاقتداء بالرسول ﷺ في عطائه الفعليِّ، من خلال المبادرة إلى خدمة الآخرين، والتَّخفيف من آلامهم، وتقديم الدَّعم المعنويِّ والمادِّيِّ لهم.

٤- التركيز في الدَّعوة على البعد الإنسانيِّ في الإسلام، وإظهار كيف أنَّ العطاء ليس فقط عبادة، بل هو أيضًا وسيلة لإصلاح المجتمعات.

٥- تشجيع المؤسَّسات الإسلاميَّة والاجتماعيَّة على رعاية مشاريع العطاء الجماعيِّ، كإفطار الصَّائم، وتوزيع الغذاء، والتَّعليم الخيريِّ، والرعاية الصحِّيَّة.

وفي الختام: فإني أحمد الله حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه كما يليق بجلاله سبحانه، على ما أنعم به عليّ من قبلُ ومن بعد.

المراجع والمصادر

الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١).

البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، (بيروت: دار البشائر، ١٩٨٩).

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، (تركيا: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

بكار، عبد الكريم، القيم العليا التي أرساها القرآن الكريم، (مصر: دار السلام).

الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥).

الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩٠م).

أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م).

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، (مصر: دار الحرمين، ١٩٩٨).

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠).

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٩).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، (القاهرة: مكتبة الهلال، ١٩٩٠م).

القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤).

القشيري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦).

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٩٩٤).